الثورة ALTHAWRAH
Monday : 26 Shwal 1434 - 2 Septmber - Jssue No. 17819

مُخلِّفاً وراءه إرثاً ثقافياً خلاقاً وإنتاجاً إبداعياً متميزاً..

الشاعر والأديب الكبير إسماعيل الوريث يودِّع الحياة

الثورة / محمد القعود - جميل مفرح

فُجعت الساحة الثقافية والأدبية صباح أمس برحيل الشاعر الكبير والإعلامي القدير الأستاذ إسماعيل بن محمد الوريث عن عمر ناهز الستين عاماً كان في معظمها الشاعر والأديب اللامع والمبدع والمثقف الوطني المتميز حتى شكَّل من اسمه وإنتاجه الإبداعي والثقافي والإعلامي علامة هامةً وتجربة لها كبير ومميز الحضور والتفاعل، ممثلاً حالةً ثقافية استثنائية في مسيرة الأدب اليمني الحديث..

وبهذا المصاب المؤلم والفاجع أصدر اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين –الذي شغل منصب الأمين العام فيه ومناصب قيادية أخرى- بيان نعي أشار فيه إلى أنه برحيل الأستاذ الوريث الذي يعد قامةً شعريةً كبيرةً ومنارةً أدبيةً وثقافية بارزةً، يكون المشهد الثقافي والأدبي في اليمن قد خسر فارساً آخر من فرسانه، وواحداً من أبرز الكُتَّاب الذين آمنوا بقضايا وهموم البسطاء، ووهبوا أنفسهم وأقلامهم من أجل بناء وطنٍ جديدٍ، ينتصر لأبناء الشعب الذين جعلهم الشاعر الكبير إسماعيل الوريث نصب عينيه، وهو يسطر أسفار الحياة الحافلة بالأحلام العظيمة.. وأشار البيان إلى أن الشاعر الراحل صُنِّف ضمن أبرز أعلام الشعر الحديث في اليمن حيث عكست نصوصه كدَّه الشعري ومعاناته المتصاعدة فناً وتعبيراً موضوعاً وصياغةً، مواكباً بذلك تيارات التحديث دون التفريط بأصالة قصيدته وإيقاعها ودلالاتها..

الأستاذ الفقيد إسماعيل الوريث يعدُّ واحداً من أبرز وأهم التجارب الإبداعية والشعرية خصوصاً.. كما أنه أحد أهم القيادات المؤسسة والرائدة في اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين الذي شغل منصب الأمين العام فيه لدورتين متتاليتين، إلى جانب مناصب أخرى كان فيها عنصراً فاعلاً ومؤثراً وقائداً حكيماً وشجاعاً إلى جانب كونه الشاعر الفذ والنقابي المتميز والمثقف المتفرد في خصوصيته وعطاءاته وتعامله مع القضايا والهموم الثقافية والإبداعية والوطنية أيضاً..

ولد الشاعر الكبير إسماعيل الوريث في مدينة ذمار في العام 1952م، وهو شاعر وصحفي و مؤلف التحق بالمدارس التعليمية، وواصل دراسته حتى حصل على ليسانس من كلية الآداب، جامعة صنعاء، كما حصل على دبلوم عال، من كلية الإعلام، من نفس الجامعة، رُقِّيَ إلى درجة باحث ثالث، بدرجة مدرس جامعة مساعد، وقد عمل موظفاً بوزارة الإدارة المحلية، و إذاعة صنعاء، ومديراً عاماً للثقافة بوزارة الإعلام، ومديراً عاماً للفنون بوزارة الإعلام والثقافة، ومديراً عاماً لمكتب الإعلام بذمار، ومديراً عاماً للتوثيق والمكتبات بمركز الدراسات والبحوث اليمني، ونائباً لرئيس المركز، ثم باحثاً بالدائرة الأدبية واللغوية بالمركز.. وبدأ تعشقه لكتابة الشعر ومسايرة أحلامه وآلامه منذ سن مبكر في العاشرة من العمر.. وقد صدر له من الأعمال الشعرية والإبداعية والفكرية: (الحضور في أبجدية الدم) ديوان شعر، (ليلة باردة) ديوان شعر، (مرثاة عدو الشمس) ديوان شعر، (عذابات يوسف بن محمد) ديوان شعر، (رماد العاشق) ديوان شعر (بعد رحلة صيد إلى موسى بن نصير) ديوان شعر، ومن كتبه البحثية والتوثيقية: (واقع الإعلام اليمني 1872 - 1992م)، (رواد التنوير في مدرسة الحكمة) كما صدرت أعماله الشعرية الكاملة عن وزارة الثقافة في العام 2010م في أربعة مجلدات من القطع الكبير .

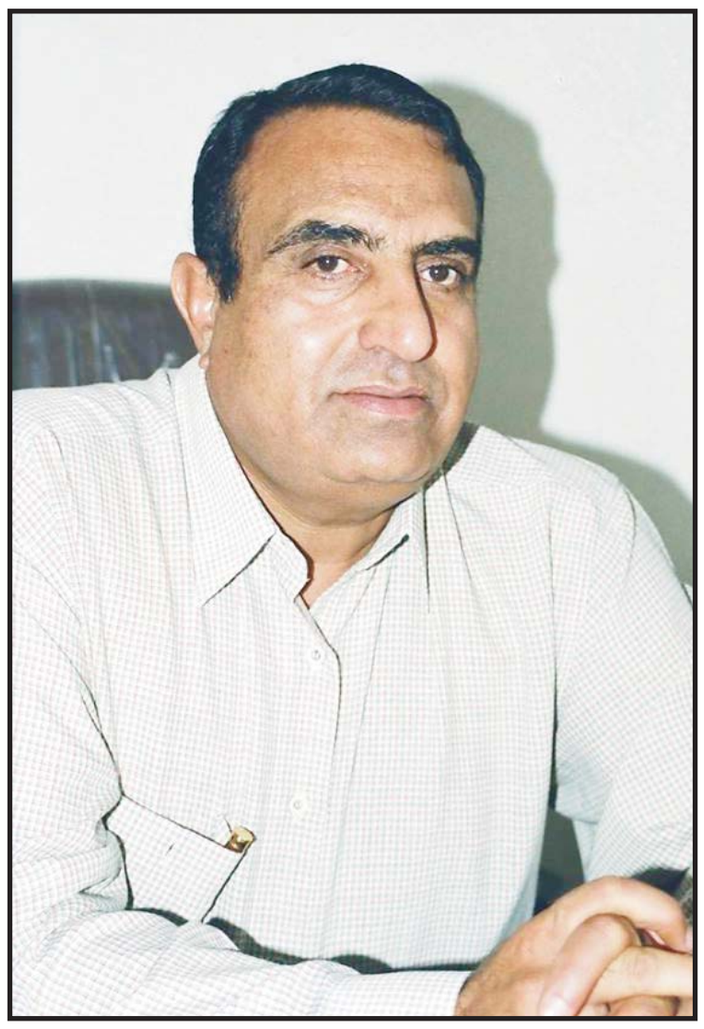

قبر الشاعر

■ اسماعيل بن محمد الوريث

هذا العصر الذي نعيش فيه فريدٌ بين العصور بما توصلت اليه العلوم الحديثة من اختراعات واكتشافات تذهل العقل وتصدم الشعور.. وبالمقابل فإن كل هذا الثراء في التقدم الإنساني قد غدا وحشاً كاسراً ينفلت من سيطرة الانسان لينقض عليه في صورة هذه الاسلحة المدمرة التي يقتل بها الانسان أخاه الانسان، مما يؤكد مجدداً أن قابيل وهابيل قصة تتكرر كل يوم، فالأقوى والأغنى هو صاحب السيطرة الكاملة على الكون الارضي مستخدماً السماء والكواكب والبحار والفضاءات ليتحكم في مصير الأضعف والأفقر، وبالطبع فليس هناك غير طريقين لا ثالث لهما، التبعية أو مقاومة التبعية أمام العالم الثالث أو ما يسمى بالبلدان المتخلفة.

والحكام العرب الصناديد في محاربة بعضهم بعضاً حتى أن لعبة لكرة القدم بين فريقين من قطرين عربيين قد تستدعي حرباً بينهما، أو يصل الأمر الى تدبير الانقلابات أو القيام بها في العائلة المالكة الواحدة، فيقصي الإبن أباه، ويتخلص الأخ من أخيه، هؤلاء الحكام أطوع للاستعمار المبطن والمحسن بمصطلح «النظام العالمي الجديد، أو «القرية الكونية» من العبد لسيّده رغم جلالة قدرهم وانتفاخهم بمفاخر أجدادهم التي لا نهاية لها.

ولأنّ السياسة مستنتج كريه فإنّ المثقف العربي يأبه بنفسه من السقوط في هذا المستنقع الموحل فإذا كان الحكام العرب أو معظمهم يسعون الى التطبيع مع العدو الصهيوني خوفاً من أن تمتد يد التأديب من البيت الأبيض الأمريكي فتهدم عروشهم وتأتي بقوم غيرهم، فإن المثقف العربي الملتزم بقضايا أمته العربية المسحوقة ملك غير متوج، ورئيس لم يصل الى دبابة ومدفع الى قصر أحلامه وقمة إبداعه.

ويطمع هؤلاء الحكام هم وأنيابهم ومخالبهم من الساسة المتخلين عن الضمير والمبدأ إلحاق الأدباء والكتاب العرب بقافلة التطبيع المشينة، ويريدون للشاعر أن يكون مهرجاً، ونديماً وخادم بلاط، وقد تقاذفت المنافي شاعراً عربياً أكبر قامةً من الملوك والسلاطين بعد معاناة المنفى داخل وطنه، وفي معرض رده على سؤال صحفي قال درويش رحمه الله: «أنا لا أملك مسكناً ولا قبراً، بدأت ليس فقط بسبب العمر لكن بسبب الطريقة اللامبالية التي يعمل بها التاريخ، أصبحت أفكّر في طريقة موتي ما دمت غير قادر على السيطرة على ادارة حياتي أريد ان يعيش قبري وعظامي في وطني مادمت غير قادر على أن أعيش في وطني أتمنى أن أدفن هناك».. لقد كان موقف محمود درويش السياسي مطابقاً لموقفه الثقافي، فلم يطبّع رغم انكساره وارتضى بوطن في حجم قبر، لكنه لم يسلم الراية، وحُظي بقبر في وطنه:

لاغد في هذه الصحراء الا ما رأينا أمس فلأرفع معلقتي
لينكرس الزمان الدائري، ويولد الوقت الجميل.

■ من كتاب الفقيد

الاصدقاء....

اسماعيل الوريث

عندما خانني الأصدقاء
من وهبت لهم عمري كله
وتعهدتهم بالوفاء
وخلا مجلسي منهم
فإذا ما التقيت بهم صدفة
لم أجد ألق الود يرقص بين
عيونهم
واستجرت بها الوحشة
وملامح أوجههم أفصحت عن
جفاء...
كالغريب
يزاحم في الطرقات
رجالا من الغرباء...
لذت بالأصدقاء القدامى الذين
تركت الغبار يجللهم في الرفوف
وتصفحتهم واحدا واحدا
أصدقاء..
فلاسفة..
شعراء...
كنت أهملتهم زمنا
حين نبهتهم نهضوا
ورأيت المودة راقصة
في عيون الحروف
أصدقائي القدامى معي
يعمرون خرائب نفسي
تلك التي خلقتها الصداقات
والأصدقاء...

تتوسد قصائده الإحساس بالغربة و الضيق بالمدينة

الشاعر الكبير إسماعيل الوريث في آخر مقابلة صحفية : سأظل أبحث عن مدينة أخرى وأناس آخرين إلى أن أموت

صنعاء – أحمد الأغبري

ينتمي الشاعر الكبير إسماعيل الوريث، إلى جيل استلم لواء الحداثة الشعرية في اليمن من جيل الستينيات، جيل الشاعر الكبير الدكتور عبد العزيز المقالح، ليمثل جيل السبعينيات حلقة الوصل ما بين جيلي الكبار و الشباب في المشهد الشعري اليمني الحديث، هذا المشهد الذي يُعد (الوريث) من أهم أسمائه؛ وممن تميزوا كثيراً في كتابة الشعر الشامل حسبما وصفه شاعر اليمن الكبير الراحل عبد الله البردوني.

وهو بالإضافة إلى ذلك ممن فضلوا العيش في الظلال على الأضواء، لتبقى قصيدته متفردة بخصوصية إبداعية لا يتجاوزها دارس للشعر اليمني الحديث.. وقبل ذلك ينتمي هذا الشاعر إلى عائلة يمنية عريقة في علاقتها بالأدب.

تولى منصب أمين عام اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين منذ عام 1992م إلى عام 2001م، وصدر له منذ عام 1984م نحو ستة دواوين، بالإضافة إلى كتب منها كتاب بعنوان "واقع الإعلام اليمني (1872م - 1992م)" وآخر بعنوان "رواد التنوير في مدرسة الحكمة اليمانية"، و صدر له عن وزارة الثقافة الأعمال الشعرية الكاملة. الشعر بالنسبة له يعني الحياة، والحياة بدون الشعر لا تعني له شيئاً.." فالشعر بالنسبة لي مثلما التغريد بالنسبة للعصفور لا يمكنني العيش بدونه".

* هل تتذكر بداياتك الأولى مع الشعر؟

- بدأت علاقتي بالشعر في سنوات الطفولة المبكرة..ساهم في ذلك انتمائي إلى أسرة عريقة كان لها بجانب الاهتمام بالعلوم الدينية والشرعية اهتمام كبير بالأدب، ومن أجدادي الأوائل وصل الشعر إلى عندي، كما لو كان متوارثاً، مع انه ليس بالضرورة أن يكون هنالك ميراث شعري، فكثير من الشعراء الأماجد لم يتوارثوا الشعر.. ما أريد قوله: إن البيئة والأسرة مثلت عاملاً مؤثراً في ميلاد موهبتي الشعرية مبكراً، ولكن لا يعني هذا انه يمكن أن يرث الإنسان الشعر أو يحصل عليه مثلما يرث الأشياء الأخرى أو يحصل عليها؛ فموهبة الشعر بحاجة إلى التهذيب والتكثيف حتى تتشكل، وتتبلور خصوصيتها.

* بالنسبة لك أنت.. إلى أين وصلت اليوم علاقتك بالقصيدة؟.. اقصد لو نظرت إلى ما مر من تجربتك الطويلة مع الشعر؛ كيف تقرأها؟

- الشاعر يمر بمراحل عديدة، حتى تستكمل تجربته نضجها، وهو يحس بهذا الأمر من خلال نقد الآخرين ومستوى اهتماماتهم به، أو حتى من خلال اطلاعه على تجارب الآخرين ممن سبقوه من الشعراء أو من هم يجايلوه.. وبالنسبة لي فقد تمكنت من كتابة الشعر العمودي منذ وقت مبكر، وكتبت قصيدة التفعيلة، كما كتبت قصيدة النثر، وحسب الشاعر الكبير الراحل عبدالله البردوني فأنا أكتب ما يسمى بالشعر الشامل، ولا أتوقف عند حد معين أو على شكل محدد؛ فأنا اكتب الشعر بأشكاله المختلفة..

*** و لمن تكتبه ؟**

- الشاعر في بداية الأمر يكتب لنفسه، ولكن بعد ذلك وخصوصاً عندما يخرج النص إلى الناس؛ فهو يصبح ملكهم ،وهنا كأن الشاعر يكتب لهم.

* إلى أي حد تشبه ما تكتب؟

- عندما أقرأ للآخرين، كالذين أعرفهم و أحبهم ،أجد ما يكتبونه يشبههم، لذا أنا ممن يقول بان الإنسان هو أسلوبه !..

*** تقصد أن الكاتب هو النص ؟**

- نعم ؛فانا لا أفصل بين الشاعر والقصيدة..وكيف لي أن أفصل بينهما والثاني قد جاء ترجمة للأول وتعبيراً صادقاً عنه. * مرت تجربتك بمحطات عديدة لكن هناك من رأى في ديوانك "بعد رحلة صيد مع موسى ابن نصير" منعطفاً هاماً في مسار تطور قصيدتك؟ - أنا لا اهتم لما يقال عني على الإطلاق .وبالنسبة لي فكل قصيدة كتبتها هي شيءٌ هام .واعتقد أن الشاعر منذ كتابة القصيدة الأولى إلى آخر قصيدة يكتبها هو يكتب عملاً شعرياً واحداً، وفي الأخير فأنا لا أستطيع أن أميز كما يميز القارئ.

*** تتوسد قصائدك الكثير من الغربة و التشاؤمية و الضيق بالمدينة و بالناس ..إلى ما تعزو هذا ؟ وبماذا تفسره ؟**

- منذ طفولتي وأنا أعيش في القرى و في الأرياف ،وأصدقائي الأوّل كانوا بعيدين عن المدينة. ولأن الطفولة ترسم نفسها على الإنسان،حتى لو وصل إلى الشيخوخة تجدني اليوم - وقد صار عمري 56 عاماً- مازلت اعتبر نفسي ذلك الطفل الذي عاش في الريف مع الفلاحين البسطاء.. أأكل معهم، وألعب معهم، و احضر معهم حفلات الزار، وأشاركهم معيشتهم البسيطة..فالتشاؤم من المدينة والإحساس بالغربة هو شيء يشاركني فيه معظم الشعراء، و ربما كلهم، لأن المدينة تطحن الإنسان طحنا..وأنا أضيق بها ، وبالتالي فالحياة في المدينة تجعلك تشعر فيها بالغربة وتلجأ إلى الوحدة أحياناً ،لعلك تجد فيها نفسك وتجلس إلى الإنسان الذي تحتفظ به في داخلك ،وتحميه من الوقوع في طاحونة المدينة،التي تحاول المدينة سلبه منك عنوة...

*** وهل ما تزال تبحث عن مدينة أفضل و أناس آخرين كما قلت في إحدى قصائدك ؟**

- نعم ؛سأظل ابحث عن مدينة أخرى، و أناس آخرين إلى أن أموت .

***.تنتمي إلى جيل استلم لواء الحداثة الشعرية في اليمن من جيل الشاعر الكبير عبد العزيز المقالح ..باعتقادك ما الذي قدمه جيلك للحداثة الشعرية باليمن ؟**

- بالنسبة لشعراء جيلي، والذي منهم الشاعر حسن اللوزي و الشاعر عبد الودود سيف وغيرهما الكثير من الأسماء لا استحضرها الآن ؛ فقد تميزوا بحرصهم و اهتمامهم باللغة و الأدوات الشعرية. كما أن الشعر حينئذ كان يتماهى مع اللحظة العربية القومية التقدمية ،التي كانت وقتئذ في ذروة عنفوانها؛فمنحوا الحداثة أسمى ما لديهم من الصدق والرعاية والتطوير وسخروها لخدمة قضايا الأمة..

*وماذا عن علاقة هذا الجيل بالجيل الذي سبقه من الشعراء الكبار وبالجيلين اللذين جاءا بعده من الشباب؟

- هل كان هنالك تواصل بين هذه الأجيال ؟

- نعم ؛كان هنالك تواصل،ولكن لدى كل جيل جديد يحدث نوع من الافتتان بالنفس؛ فيشعر انه هو كل شيء ،وان ما قبله لا شيء.

*** وهل حدث هذا بالنسبة لجيلكم تجاه الأجيال الأخرى ؟**

- حتى نحن حدث هذا في بداية الأمر،حيث حاولنا أن نطاول من قبلنا، ولكن مع التجربة ومع العمر يشعر الإنسان بأهمية تقدير من سبقه.. وفي هذا- ربما- كنا أكثر الأجيال تقديراً لسابقينا واحتراماً لهم.

*** وماذا عن علاقتكم بمن جاء بعدكم ؟.. فهؤلاء وتحديداً جيل التسعينيات يتهمكم بعضهم بمحاولة فرض الأبوية و الصنمية على طبيعة علاقتكم به.**

- أنا لا اتفق مع هذا الطرح ؛لقناعتي بأنه لو قامت علاقة طيبة بين الأجيال لاستفاد الجديد من القديم؛لان هذا القديم كان جديداً،وهذا الجديد سوف يغدو قديماً وهكذا..

" شعراء اليوم لم ينتظروا الولادة الحقيقية لتجاربهم

*** وماذا عن حقيقة الخلاف الذي يتحدث عنه البعض ما بين جيل التسعينيات و جيل الكبار ؟**

- كما ذكرت لك أنفاً فالأجيال الشعرية القديمة منذ الخمسينات والستينات إلى السبعينات إلى الثمانيات كان لديها اهتماماً كبيراً بأدوات الشعر،واللغة،والثقافة ،وأيضا بالمضامين؛كان الشاعر ملتزماً بقضية: قضية أمته، وقضية الإنسان بشكل عام. ولكن ما نلاحظه الآن أن كثيراً مما يُكتب هو نوع من الخواطر،التي يمكن أن تُكتب في المدارس الإعدادية والثانوية.

*** تقصد بهذا شعراء جيل التسعينيات ؟**

- لا اقصد الجميع،ولا أعمم ولكن للشعر عناصر و شروط محددة؛فالمشي – مثلاً- لا يمكن أن يكون كالرقص؛ فكل شيء في هذا الكون له نظامه الخاص، بما في ذلك الشعر له نظامه الخاص، وعندما يختل هذا النظام فانه لا يكون شعراً، وانطلاقاً من هذا فإن كثير مما يقال له اليوم شعراً ليس بشعر على الإطلاق ،ولهذا تجد بعضهم يهربون إلى كلمة (النص) بدلاً من أن يقولوا شعر. الشعر لا يُجدد من خارجه، و إنما من داخله، كما حدث لقصيدة التفعيلة؛ فقد جاءت من عمق القصيدة العمودية،أما الآن فقد تقرأ نوع من الأقصوصة ويسمى شعر .ربما في كثير مما يكتب اليوم يوجد عنصر واحد من عناصر الشعر، وهو عنصر التخييل ،بمعنى وجود الخيال في هذا الكلام الذي يُكتب، أما عناصر الشعر الأخرى؛ فهي بعيدةً عنه... وقد تسألني عن السبب وأقول لك لان كثير من هؤلاء لم ينتظر الولادة الحقيقية لتجاربهم ؛فأسرعوا واختصروا كثيراً من الخطوات فجاء المولود غير مكتمل ..ولعل يسر عملية النشر في السنوات الأخيرة من ابرز أسباب الولادة المبكر.. فالشاعر بمجرد أن ينشر له نص أو نصان يبدأ بجمع نصوصه ليصدرها في مجموعة ،وعندئذ يشعر بأنه مكتمل..وهنا تتوقف تجربته عند مستوى معين وأحياناً قد تقفز إلى مستويات أخرى لكنها لا تمتلك أدوات تلك المستويات ؛فتعيش رهينة أوهامها بالإبداع و التميز..

*** وماذا عن قراءتك للمشهد الشعري اليمني عموماً ؟**

- اليمن هي جزء من العالم العربي والإسلامي ،وبالتالي فعندما ننظر إلى المشهد الثقافي في اليمن ،فأنت لا تستطيع أن تخصه بوجهة نظر مختلفة عما ستقوله في المشهد الثقافي في البلد العربي الآخر؛ لأن ما يحدث للشعر في صنعاء يحدث في المنامة وغيرها بمعنى أن معاناة الشعر في العالم العربي معاناة واحدة.

*** و ما الذي يحدث للشعر في العالم العربي ؟**

- أنت تسألني سؤالاً كنت بالأمس أفكر فيه. فما يمر به العالم العربي حالة واحدة من النكوص السياسي، والحصار الأجنبي، والاختلال في ميزان القوى ، وبخاصة بعد سقوط الاتحاد السوفييتي و سيطرة القطب الواحد. هذا كله عكس نفسه على المشهد الثقافي بما في ذلك الشعر ،الذي أجده اليوم في مواجهة مع وسائل الاتصالات المتعددة ،بما في ذلك وسائل الإعلام بما فيها الصحافة، والتي تحاول القضاء على الشعر لاسيما عندما تكون هناك توجهات محددة من الدولة أو من جهات أخرى،فهذه الوسائل تحاول أن تقذف بالشعر إلى خارج الحلبة الثقافية، وتدجن هذه الحلبة بأشياء ليست من الثقافة وليست من الأدب في شيء؛فهنالك محاولة للقضاء على ما هو ثقافي،وملتزم بقضايا الأمة.

*** ماذا تقصد ؟ .. و لمصلحة مَنْ ؟**

- هذه الظاهرة واضحة :هنالك إقصاء للمثقفين الحقيقيين، و للشعراء بشكل خاص عندما لا يدخلوا ضمن الجوقة المستخدمة لإظهار ما يقال انه إنجازات ولمدح الحاكم، و في مثل هذا الوضع ينكفئ الشعراء على أنفسهم ،وتظهر الفقاقيع، وتعمل العملة المغشوشة على طرد العملة الحقيقية من السوق ،هذا الأمر- كما قلت لك- وضع عربي عام يمر فيه الشعر بأزمة.

* لكن هناك من يرى بان أزمة الشعر اليوم هي أزمة شاعر ابتعد بالقصيدة عن هموم الناس واعتمد على أدوات و لغة حجبت شمس الشعر عن المتلقي..ما رأيك ؟ - في هذا الجانب قد تكون المسالة مختلفة ،وقد تكون مرتبطة ،والمشكلة فيها ليست أزمة شاعر فقط و إنما هي أزمة شاعر و أزمة متلقي . ومما أتذكره من تجربتي خلال السبعينيات من القرن الفائت في صنعاء أن المواد الرياضية التي كنا ندرسها في المدارس ، كانت لا تخلو من الجانب الثقافي ،بمعنى ليست كلها رياضيات خالصة؛فقد كان الاهتمام بالثقافة هو السائد، لكن ما يحصل اليوم هو أن الاهتمام الثقافي قد غاب عن حياتنا، و صار التسطيح لوعي الناس عملاً يومياً تمارسه كثير من الوسائل ،بما فيها الفضائيات ،التي أفقدت الناس قيمة القراءة و أهمية الاطلاع فتلاشى استشعار كل فرد لدوره في خدمة المجموع ؛وصار كل فرد غارقاً في ملذاته ومشغولاً باهتماماته الشخصية الفردية ،وصار العمل و الانشغال والاشتغال بهموم المجموع ،هو الاستثناء ..فنتيجة هذا التسطيح أصبح الناس يفكرون بأقدامهم.

* ما هو التحدي الأكبر أمام شعراء هذه المرحلة من الشباب؟ - أن يمتلكوا أدوات القصيدة ،وأن يبنوا ثقافتهم على أسس متينة تمكنهم من الوقوف على أقدامهم بثبات أمام التحديات الكبرى .

▪ " دبي الثقافية "